دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

فى هذا العدد :

- السودان ومستقبل العلاقات العربية الإفريقية
  بروفيسور/ سيد حامد حريز
- مفاهيم واليات امتلاك السلطة السياسية بين حركتى الإخوان المسلمين والشيخ عثمان دان فودبو
  د. عبد الرحمن أحمد عثمان
- مراحل وأساليب انتشار الإسلام والمسيحية فى إفريقيا
  بروفيسور/ محمد هاشم عوض
- إبراهيم الرشيد الدويحى وجهوده فى نشر تعاليم أحمد بن إدريس المغربى
  د. يحيى محمد إبراهيم
- الدور الاجتماعى والسياسى للشيخ عبد الحق السنوسى الترجمى فى دار وداى - تشاد
  د. محمد صالح أيوب
- خزانة المسلمين العامة فى السودان
  عرض بروفيسور/ محمد ابراهيم أبو سليم

نبذة عن المجلة

دراسات إفريقية مجلة متخصصة تعنى بالدراسات الإفريقية في مختلف العلوم الإنسانية غير أنها تولى عناية خاصة لواقع الإسلام والمسلمين في الأقطار الإفريقية غير العربية وهي تعمل على تشجيع البحوث في القضايا المتصلة بالمجالات الآتية على وجه الخصوص:

١ ـ التعليم الإسلامي في إفريقيا.
٢ ـ اللغة العربية في إفريقيا.
٣ ـ إنتشار الإسلام في إفريقيا.
٤ ـ الدعوةالإسلامية ونشاط الكنائس المسيحية في إفريقيا.
٥ ـ الخلفية التاريخية للمجتمعات الإفريقية المسلمة وأثرها في ممارسات المسلمين في إفريقيا.
٦ ـ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين إفريقيا وبقية العالم الإسلامي.
٧ ـ التعريف بالمؤسسات العلمية التي تعمل في حقل الدراسات الإفريقية.

تصدر المجلة مرتين في العام. واللغة العربية هى اللغة الأساسية للمجلة وتنشر بعض البحوث المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية

تنشر البحوث المجازة من قبل محكمين مختصين ويمنح أصحاب البحوث المجازة حوافز إكرامية تقديراً لجهود كاتبيها ويعطي مؤلف البحث المنشور عشرين نسخة من مقاله.

تنشر المجلة مراجعات الكتب الصادرة حديثا في عالم الدراسات الإفريقية وتستعرض الرسائل الجامعية بالإضافة للأعمال التوثيقية كالببليوغرافيا.

يرجى من المؤلف أن يذكر نبذة تعريفية عن مؤلفاته وأبحاثه وعمله الحالي وعنوانه ويرفق خطابا يوضح أن بحثه لم ينشر من قبل في أية مجلة أو كتاب سواء أكان كاملاً أم بشكل مختصر ويتعهد بعدم تقديمه إلى أية جهة أخرى قبل أن تصدر المجلة قراراً بشأنهومن جهة أخرى تعمل هيئة التحرير على إصدار قرار في خصوص البحث في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ تسلمه.

لاتلتزم المجلة بإرجاع البحوث التي لاتنشر إلى أصحابها

تتراوح البحوث التي تنشر بالمجلة بين (٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) كلمة ويرسل البحث مطبوعاً من نسختين. تكون الطباعة واضحة وعلى صفحة واحدة وتترك مسافات مزدوجة بين السطور كما يترك هامش على الجهة اليمنى بمقدار بوصة وربع البوصة ونفس المسافة على الجهة اليسرى في حالة البحوث المكتوبة بالحروف اللاتينية. تطبع الحواشي والمصادر على ورقة منفصلة في نهاية البحث ويشار إليها في صلب البحث بأرقام متسلسلة بين قوسين. تطبع الخرائط والبيانات والجداول في صفحات منفصلة بحيث لاتتجاوز أبعادها حجم الصفحة.

د. عبد الرحمن أحمد عثمان
رئيس التحـــرير

حمـــزة الملك طمبل والدعوة إلي القومية في الأدب الســوداني (تقـــويم جديـد)

د . محمد الحسن فضل المولي*

مدخل في أصول شخصيته الأدبية وجهده النقدي

ولد حمزة الملك طمبل بمدينة أسوان عام ١٨٩٩م لأب سوداني يتصل نسبه بملوك ارقو وأم مصرية وقد نشأ بأسوان وفيها تلقي تعليمه بالكتاب حيث حفظ شيئا من القرآن الكريم والتحق بمدرسة المواساة الابتدائية ولكنه لم يكمل تعليمه بها ، بل اتجه إلي الاطلاع الحر والتثقيف الذاتي وأقبل بشغف علي دواوين الشعر وكتب الأدب ، ثم قدم إلي السودان بعد محاولات فاشلة في الأعمال التجارية ، واستطاع بسعي لدي الحكومة أن يلتحق بمدرسة نواب المآمير ، وقد عمل بعد تخرجه فيها عام ١٩٢٣ بوظيفة نائب مأمور وتنقل من ثم في مراكز عديدة ، ولأسباب ليس هذا مجال تفصيلها نقل عام ١٩٣٢ لإدارة الحدائق بالخرطوم ثم لم يلبث أن أحيل إلي المعاش في أواخر ذلك العام (١).

وإذا كان قد اتجه أدبيا صوب رواد المذهب الجديد في مصر (شكري والعقاد

---

* مدير إدارة النشر والتأليف بجامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية

والمازني) فنهل منهم وتأثر بهم علي نحو واضح ، فإنه آثر من الوجهة السياسية أن يقف مع الانجليز علي نحو صريح فدعا إلي معاونة حكومتهم :

(إن الحكومة مجدّة لخير البلد ولكنها ككل حكومة لايمكن أن يكون عملها لهذا الخير تاما شاملا إلا إذا عملنا معها ووضعنا يدنا في يدها قياما بواجبنا بل بما فرضه الله علينا في كل مايعود علينا بالخير ، ويد الله فوق أيدي الجميع (٢) وامتدح اللورد اللنبي عند زيارته للسودان عام ١٩٢٢ بقصيدة عد فيها فتحه القدس من مآثره الجليلة :

فاتح القدس قد تغمدك الله بروح من المهيمن قدس
وطالب فيها ملحا ببقاء الاستعمار الانجليزي في السودان

وأقيموا فنحن أحوج منكم ... ليد تعمر البلاد ورأس
وأدفعونا إلي الأمام فأنتم ... أقدر العالمين من غير لبس
عشت يالورد للبلاد وعاشت ... أمة متعت بأفخم كرسي (٣)

ونراه يصفهم بأنهم الكرام رعاة الذمام في مرثية والده (الملك طمبل حمد) :

بيتك السادر في حرز حريز ... بات يرعاه كرام الانجليز
قد أجازونا كما كنت تجيز ... لم تزل أنت علي الناس عزيز
فرعي الرحمن من يرعي الذمام (٤)

ويمكن القول استنادا إلي هذا المقطع وإلي ما عرفناه من وقائع حياته بأن أهم دوافع هذا الولاء البالغ تتمثل فيما أتاحه له الانجليز من فرصة الدراسة بمدرسة نواب المآمير ثم العمل بوظيفة مرموقة بمقاييس تلك الحقبة ، إضافة الي رعايتهم لتراث أبيه ، ولذلك فما كادوا يتنكرون له من بعد ويفصلونه من الوظيفة التي أنعموا عليه بها حتي تنكر لهم بدوره واتجه إلي الكشف عن مساوئهم ومخازي سياستهم الاستعمارية في كتابه (الانجليز في السودان) الذي يشير الدكتور سعد الدين الجيزاوي إلي أنه أعده في عشرة أجزاء (٥) ، ولم يطبع منه سوي الجزء الأول الخاص بصمويل بيكر في خط الاستواء .

ومهما يكن الأمر فثمة رابطة وثقي سنقف على أبعادها بعد قليل - بين دعوته إلي القومية في الأدب السوداني وانحيازه إلي جانب الانجليز في تلك المرحلة .

هذا ولم يصدرلحمزة الملك طمبل من الآثار الأدبية سوي أثرين شهيرين ، هما :

١/ الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه (الصادر عام ١٩٢٨م) وقد جمع فيه مانشرته الحضارة من مقالاته بعنوان (الأدب السوداني) وما دار حولها من مساجلات ، مع إضافة مقالات يسيرة تناول فيها بالنقد بعض الشعراء الذين اختار

سعد ميخائيل شيئا من شعرهم في كتابه (شعراء السودان) ، ومن هنا فهو المصدر الرئيسي لدرس جهده النقدي نظريا وتطبيقيا .

٢/ ديوان الطبيعة (الصادر عام ١٩٣١م) : وهو يضم مجموعة شعره التي يعتبرها المجال التطبيقي لآرائه التجديدية - عدا قصائد قليلة من محاولاته التقليدية المبكرة - ولهذا فهو يتيح الفرصة للوقوف علي وجوه التكامل أو المفارقة بين النظرية والتطبيق في دعوته لقومية الأدب السوداني وفي نظراته النقدية بوجه عام .

ويمكن القول بأن نظرات طمبل التجديدية التي بثها في كتابه (الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه) تركزت في مجالات ثلاثة : أولها يتعلق بالشعر عامة من حيث مفهومه ووظيفته ومضمونه ومبناه ، وثانيها بالشعر التقليدي وشعرائه في السودان وثالثها بالدعوة إلي القومية في الأدب السوداني ، وهو المجال الذي سيقتصر عليه هذا التناول ، وذلك وفق تقويم جديد يعيد النظر في أصول هذه الدعوة ومقوماتها النظرية وما اقترن بها من محاولات تطبيقية ، وفي مدي تأثيرها في اللاحقين من نقاد وشعراء ، ويقتضي ذلك بالضرورة إعادة النظر في بعض الأحكام والتقديرات التي أطلقها باحثون سبقوا إلي تناول هذه الجوانب بوجه أو بآخر فيما صدر لهم من كتب ودراسات .

دعوته إلي القومية في الأدب السوداني :

ولو قلنا إلي (سودنة الأدب) لكنا أكثر دقة وتحديدا ، وذلك لأن تعبير (القومية) لم يرد قط فيما كتبه طمبل في هذا المجال ، ومع ذلك فقد آثرنا استخدامه ، لا لتواتره علي الأقلام فحسب وإنما لأنه يتيح للباحث وضع تلك الدعوة في مهادها الصحيح الذي سنتعرف عليه وشيكا ، ويمكنه كذلك من الربط بين جهد الناقد الرائد من جهة ، والجهود الكثيرة التي تلته في نفس المضمار من جهة أخري ، وذلك لأن النقاد الذين عملوا علي بلورة الفكرة وتأصيلها من بعده اتجهوا جميعا فيما هو معلوم إلي استخدام مصطلح (القومية) ، وبذلك فقد اكتسب الذيوع والسيرورة وغدا بالتالي علما علي هذه الفكرة لدي جمهرة المتأدبين وعند الباحثين والدارسين علي حد سواء .

١ / في مهاد الدعوة الفكري :

قد يرد علي البال أن حمزة الملك طمبل لابد أن يكون قد تأثر في دعوته هذه بدعوة قومية الأدب المصري الذي رفع رايتها الدكتور محمد حسين هيكل لما بين الدعوتين من توافق زمني ومشابهة واضحة ، وهذا جد صحيح (٦) ، بل لربما اتجه الخاطر إلي الدكتور أحمد ضيف الذي كان له فضل السبق في المناداة بأدب تتمثل فيه شخصية

مصر وحالتها الفكرية وأوضاعها الاجتماعية (٧) ، فليس من المستبعد أن يكون ناقدنا قد استقي منه أيضا ، علي أنه لا سبيل إلي الزج بالشيخ أمين الخولي في هذا المجال كا فعل بعض الدارسين (٨) لأن دعوته إلي الاقليمية في الأدب لم تطرح علي نحو واسع إلا عند صدور كتابه (إلي الأدب المصري) عام ١٩٤٣ م . وبذلك فإن تأثيره ينتفي لا بالنسبة لطمبل فحسب ، وإنما بالنسبة لجميع دعاة القومية في الأدب السوداني لأن جهودهم كانت قد بلغت ذروتها القصوي قبل صدور الكتاب المذكور.

ومهما يكن الأمر فان المؤشرات الخارجية التي أشرنا اليها لايمكن أن تقوم مقام المهاد الفكري المحلي الذي تتصل به دعوة الناقد علي نحو مباشر حميم ، والذي لم نر من الدارسين السابقين من اهتم بالتعرف عليه مع أنه يمثل الأرضيه الحقيقية لهذه الدعوة .

ذلك لأنها لم تكن علي ما نقدر سوي تطبيق في جانب من الجوانب التي نوه بها حسين شريف في طرحه وتنظيره لفكرة (القومية السودانية) علي صفحات الحضارة في عهديها الأول والثاني علي السواء (٩) ، خدمة لمبدأ (السودان للسودانيين) ، وهو مبدأ لم يكن يراد به آنذاك كما تشهد سلسلة مقالات (المسألة السودانية) أكثر من تمكين الانجليز من الانفراد بحكم السودان ، لأنهم فيما يقول حسين شريف في بعض مقالات تلك السلسلة (أكفأ من أدار دفة ، وساس أمة ، وأقدر من يخضع الهوى لسلطان الحق ، ويوفق بين منازع السيطرة ومباديء العدل (١٠) وهو نفس ماقاله فيهم حمزة الملك طمبل لاحقا (أقدر العالمين من غير لبس) كما جاء في قصيدته التي استقبل بها اللورد اللنبي عام ١٩٢٢م وقد مر ذكرها قبل قليل .

من هذا المنطلق السياسي إذن طرح حسين شريف فكرة (القومية السودانية) فكانت بمثابة غطاء فكري لمبدأ كان مرفوضا في أوساط الشبيبة المتعلمة المؤمنة بضرورة التعاون الوثيق في تلك المرحلة بين الحركة الوطنية في السودان والحركة الوطنية في مصر ، وقد كان الرجل ذكيا ماهرا في عرضه لهذه الفكرة - ولعله تأثر في ذلك بمنظري القومية المصرية الأوائل من قبيل أحمد لطفي السيد وطه حسين ومن إليهما من كتاب (الجريدة) ومن هنا فقد التفت الى أهمية التعبير عنها من خلال الانتاج الأدبي تجسيدا لمعناها وترسيخا لمفهومها ، فهو يقول (أما الوسائل التي نتذرع بها لإدراك هذه الغاية - أي تحقيق القومية السودانية - فكثيرة ، أهمها الإكثار من الكتابة والخطابة في هذا الموضوع ، ومداومة النشر عنه ، وتسليط النظم والنثر عليه ، وتوجيه أعظم الجهود الأدبية اليه) (١١) .

وإذا كان قد التفت أيضا إلي الوسائل الفنية الأخري من تمثيل وغناء وموسيقي ، فمضي ليقول (إن مقدرة اللغة قاصرة جدا عن أداء المعاني الحقيقية القائمة بكلمة القومية ، واستقصاء الفوائد المادية والأدبية المجتمعة فيها ، والناتجة عن الأخذ بمبدأها والاستمساك بحبلها والأخذ بروحها ، ولذا تري الأمم المتكونة بها تستعين في طريقها إليها وفي شرحها بالتصوير والتمثيل والموسيقي والأناشيد ، مما يثبت روحها ويقوي شعورها ، ويضرم الحماس للعمل من أجلها) (١٢) فينبغي أن نذكر أن حمزة الملك طمبل كان ينتوي بدوره تناول هذه الجوانب في أجزاء تالية من كتابه ، فقد نوه بأنه سيتكلم فيه عن الشعر والشعراء (ثم عن باقي فنون الأدب السوداني كالمغني والتمثيل والموسيقي وظني أن هذا سيتم في أربعة أجزاء (١٣) ويغلب علي الظن أنه كان سيتجه لو تيسر له إتمام ما بدأه إلي توسيع نطاق دعوته إلي القومية أو السودنة لتشمل هذه الفنون أسوة بالأدب ، فيعين بذلك على تنفيذ الخطة التي رسمها حسين شريف بحذافيرها .

فإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغي علينا أن ننظر إلي دعوة الناقد إلي سودنة الأدب في إطار الدعوة الأشمل إلي القومية السودانية المقترنة بمبدأ السودان للسودانيين ، وبذلك يتيسر لنا إدراك البعد السياسي الكامن في طياتها ، وهو بعد يؤكده ويدل عليه ما نعرفه من ولاء طمبل الذي أعلنه في شعره ونثره للانجليز وحكومتهم في السودان.

٢/ في معالمها ووجهتها النظرية :

لئن تمثلت دعوة طمبل إلي قومية الأدب بداية في العنوان الذي اختاره لمقالاته وهو (الأدب السوداني) ، ثم في تركيزه علي الربط بين شخصية الأمة وأدبها - فإن معالمها تتضح بجلاء في مطالبته بأن تكون صورة الأدب السوداني (دالة علي السودان ومذكرة من يراها به ، أعني سودانية بكامل معناها حتي الشلوخ والوشم (١٤) ، كما نراها متضحة بجلاء أكبر في كلماته الهاتفة (نريد أن يكون لنا كيان أدبي عظيم ، نريد أن يقال عندما يقرأ شعرنا من هم في خارج السودان : إن ناحية التفكير في هذه القصيدة أو روحها تدل علي أنها لشاعر سوداني ، هذا المنظر الطبيعي الجليل الذي يصفه الشاعر موجود في السودان ، هذه الحالة التي يصفها الشاعر هي حالة السودان ، هذا الجمال الذي يهيم به الشاعر هو جمال نساء السودان ، نبات هذه الروضة التي يصفها الشاعر ينمو في السودان)(١٥) فهو يدعو إلي أن يصطبغ الأدب السوداني اصطباغا تاما بطابع بيئته المحلية ، ويمثل لذلك بأبيات الشيخ بابكر بدري التي يقول إن بعضهم جعلها موضع سخرية :

جاء الخريف وصبت الأمطار والناس جمعا للزراعـــة ساروا
هذا بمفرده وذلك بابنـــــه والكل في الحش السريع تباروا

فهي في نظره تعطينا (بصرف النظر عن درجة حراراتها صورة صحيحة لوجه من وجوه الحياه السودانية) (١٦)

فإذا ربطنا بين اتجاهه إلي حصر الأدب السوداني في هذا النطاق البيئي المحلي وبين مطالبته أدباء السودان بأن يوقفوا مجهوداتهم الأدبية على السودان وحده ومن أجل السودان (١٧) تأكد لنا أنه صدر في دعوته عن نزعة إقليمية ضيقة ، وأنه لم يستشرف الآفاق الواسعة لمفهوم قومية الأدب بمعناه الصحيح ، ذلك أن الأدب القومي يقوم وفق هذا المفهوم (علي ركيزتين أساسيتين ، أولاهما استكشاف التراث الشعبي المحلي وتنقيته من الرواسب التي تعوق تطوره ونضجه ، والثانية استيعاب التراث الإنساني والاستفادة منه في حقن التراث المحلي بدماء جديدة .. ومن التفاعل العضوي بين القومية والإنسانية ، وخلال التأثير والتأثر ، يستطيع أي أدب قومي أن يساهم في الأدب الإنساني لأنه في حقيقته ليس سوي مجموعة متناسقة من الآداب القومية بلغت حدا من النضج الفكري والفني جعلها تساهم في التراث الإنساني ، وتضيف إليه ، وتوسع من رقعته (١٨) .

والحق أننا نبعد جدا إذا توقعنا أن يتسع مفهوم الناقد بحيث ينظر إلي أبعد من حدود البيئة السودانية ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار تغافله عن البعد الإنساني والهوية العربية في المذهب الجديد مع تأثره البالغ به (١٩) ومناداته بالانفصام عن الماضي وتراثه ، إذ ذهب إلي أن محاولة الاستناد إليه والانطلاق منه لخلق أدب جديد ليست سوي عامل من عوامل الاستسلام والتخلف ، وقد دفعه اتجاهه هذا إلي التساؤل بمنطق أعوج :

(علي أي أنقاض قام بناء خزان سنار ؟ إنه لم يقم علي أنقاض ولكنه بناء جديد ، دعوا هذا ودونكم أنقاض مدينة سنار فابنوا لنا عليها مدينة ولو بالطوب النيىء ، هيهات ، هيهات ، إن أول صف من البناء الجديد سيهوي بتلك الأنقاض إلي القاع .. إن العلم بالماضي شيء والبناء علي أنقاضه شيء آخر ، وإذا كان يجب في بعض الأحيان أن نعرف درجة إحساس رجل من رجال الماضي فانه لايجب أن نبني علي أنقاض أفكاره لأننا خلق جديد ، بإحساس جديد ، في زمن جديد ، ويجب أن نبني بناء جديدا أيضا (٢٠) فهو لايدعو إلي الانحصار في حدود البيئة السودانية فحسب ، ولكنه يمضي إلي أبعد من ذلك فينادي بالتخلي عن التراث الأدبي العربي بحجة أنه لايمكن أن يفيدنا في خلق ما نحن في حاجة إليه من أدب جديد ، وتلك دعوة فطيرة

سبقه الأمين علي مدني إلي المناداة بها (٢١) وفيها يبعد الناقد كما بعد سلفه عن دائرة الموضوعية والاعتدال ليقع في أسر التطرف والمغالاة .

٣/ في المجال التطبيقي ومدي التأثير :

إذا اتجهنا إلي شعر حمزة الملك طمبل لنقف علي مدي توفيقه في تطبيق مادعا إليه ، فسنجده ، قد اهتم فعلا بمظاهر البيئة السودانية ومشاهدها ، فصورهما في بعض قصائده على نحو فيه طرافة وجدة ، وعبر من خلالها عن نوازع نفسه وفيض وجدانه وبدوات فكره ، كما نري في قصائده : جبل على الشاطيء ، وليلة من ليالي الخريف ، والودع ، وسحابة ، وليلة ونهار (٢٢) علي سبيل المثال ، ولكن له إلي جانب ذلك قصائد عديدة لم يخرج فيها عن نطاق الأغراض والممارسات التقليدية من مدح وهجاء ورثاء ومعارضة ، وزيادة علي ذلك فهو يلتزم في شعره كله بالأوزان الموروثة علي ضعف حسه العروضي ، وبهذا يتضح لنا كبر اعتماده علي التراث القديم الذي يدعو إلي الانفكاك عن إساره وعدم الاستناد عليه .

أما ما حاوله الدكتور محمد إبراهيم الشوش من تلمس (خيوط تجديد كبير في الشكل مارسه طمبل في قدرة فائقة) ويعني به (محاولة التوفيق بين النغم التقليدي للعروض مع الخضوع للتركيب العامي (٢٣) ففيه مبالغة ظاهرة ، خاصة إذا تذكرنا ما صرح به طمبل نفسه من أن تجديده ينحصر في الموضوع دون الشكل وبالإضافة إلي ذلك فإن الأمثلة التي استشهد بها الباحث لاتقدم دليلا مقنعا بما ذهب إليه ، فهو يقرن بين قول طمبل :

ذهـــب الوفاء فلا ندامـــــة مني عليك ولا ملامـــــة

وبين هذا الوزن المحلي :

يا حمامة مـــع الســـلامـــة ظللت جوك الغمامـــــة

ولاسبيل إلي المقارنة هنا ، لأن طمبل لم يتجاوز الكامل المجزوء وزنا لقصيدته هذه ، وبالمثل فهو لم يتعد بحر الكامل في قطعته الأخري (ياليتها) :

الصبر أصبح درعه (بالـي) مذ أشغلت بجمالها بـــالي

والتي يريد منا الدكتور الشوش أن نقارنها بالنغم المحلي :

أندب حظـي أم آمـــــالي دهري قصـدني ماله ومالي

مع أن بينهما فرقا ظاهرا في الوزن ، وإن كان ضعف تعبير الشاعر وعدم التزامه بقواعد النحو يدنيان نفسه من العامية الملتزمة في النغم المحلي ، وليس في هذا بالطبع مايصح أن يسمي تجديدا في الشكل بله أن يوصف بأنه تجديد كبير يدل علي قدرة فائقة.

وإذا كان الشاعر قد أشار في مقدمة ديوانه إلي أنه تعمد في بعض الأحيان مخالفة الأصول اللغوية بتسكين المفاعيل وما إليها مما درج علي وضعه بين قوسين (تمشيا مع أصل اللهجة والوزن) ووعد بشرح رأيه في هذا الأمر في الجزء الثاني الذي لم يتمكن من إصداره من كتابه في الأدب السوداني (٢٥) فلا نعتقد أنه كان سيتمكن من تبرير صنيعه هذا بل أخطائه التي ينفر منها كل من سلم حسه ونضج ذوقه في العربية .

علي أن هذا لاينفي بالطبع حقيقة أنه كان رائدا في الدعوة إلي القومية في الأدب السوداني ، وأنه حاول جهد طاقته وفي حدود إمكاناته التعبيرية أن يقدم في شعره بعض النماذج التطبيقية لما دعا اليه .

ومع ذلك فلا نعتقد أنه كان مؤثرا إلا في أضيق الحدود علي نقاد الجيل الثاني من دعاة التجديد (معاوية نور ومحمد احمد محجوب ومحمد عشري الصديق) الذين حملوا راية الدعوة إلي قومية الأدب من بعده ، وذلك لسببين : أولهما : إنهم تمكنوا من الاستقاء من نفس المنابع التي استقي منها ، فتتلمذوا علي حسين شريف واتصلوا به علي نحو مباشر ، كما نظروا فيما كان يكتبه محمد حسين هيكل ، بل لقد ساهم بعضهم معه في الكتابة عن قومية الأدب علي صفحات (السياسة الأسبوعية) في مطلع الثلاثينيات .

وثانيهما : أن تفوقهم عليه من حيث التكوين الثقافي والمقدرة علي الاتصال المباشر بالأدب الغربي جعلهم في غير حاجة إلى الأخذ منه في هذا الجانب ، بل لقد أوصلهم إلي فهم أكثر دقة ورحابة لمفهوم القومية بحيث اتجه بعضهم - أعني معاوية محمد نور - إلي تصحيح ما شاب الفكرة من خطأ لا عند السودانيين وحدهم بل في الأوساط المصرية أيضا (٢١)

أما بالنسبة لتأثير دعوة طمبل إلي القومية وشعره المتصل بها علي الشعراء ، فلقد افترض فاروق الطيب أن يكون التجاني يوسف بشير قد تأثر بمناداته (بأن يعمد الشعراء السودانيون إلي إدخال بعض الكلمات السودانية الدارجة التي يلمحون فيها ظلالا شعرية في معاجمهم وأن يقتحموا بها مجال الفصحي) (٢٧) تبريرا منه للأخطاء اللغوية التي أخذها استاذنا الراحل الدكتور عبدالمجيد عابدين - رحمه الله علي الشاعر ، وهذا مما يحتاج إلي إعادة نظر .

فليس صحيحا أن طمبل دعا صراحة إلي ماذكره الكاتب ، وكل مافي الأمر أنه استخدم في شعره بعض التعبيرات العامية ، ومعظمها مما لا نلمح فيه أية ظلال شعرية ، من قبيل (عوير) و (مسيخ) و (شال) في أبياته التالية :

وعـوير يدعي العلم ولكنه فـي عـــــلمه كالببغـــاء
ومسيخ شـــاب في اللوم وما يتخلي عن رياء وافتراء
صار الســـحاب ركامـا أو مثل ماقيل : شال (٢٨)

ومن جهة آخري فان تمكن التجاني يوسف بشير في اللغة ، وأصالته في الشاعرية مما ينأي به في تقديرنا عن التأثر بصنيع طمبل ، وقد لاحظنا أنه تجاهل الإشارة إليه في التراجم التي عقدها للشعراء في كتاب (نفثات اليراع) مما يعني أنه لم يكن يحسن الظن بشاعريته (٢٩) زيادة علي أن التجاني كان علي عكس طمبل من شعراء الجزالة والصفاء البياني كما يشهد ديوانه ، ولذلك فقد حق للدكتور عبدالمجيد عابدين - رحمه الله - أن يأخذ عليه ما أخذه من أخطاء مثل استخدامه كلمة (رملاء في قوله :

رمـــلاء يبـــرق در منهـــا ويبـــهر در

بدلا من (رملية) (٣٠) وليست رملاء (بالمد) من عامية السودان في شيء.

وفي تقديرنا أن الركاكة المتفشية في شعر طمبل كانت مما حال دون تأثر شعراء السودان به ، وعلي العموم فإنه لم يزد علي أن خطا الخطوة الأولي في مضمار الدعوة إلي القومية في الأدب السوداني ، ثم تلقف الراية من بعده نقاد الجيل الثاني من التجديديين الذين سبق ذكرهم ، وقد عملوا كما سلف القول على بلورة الفكرة وتأصيلها علي نحو أكثر رحابة ودقة ولهذا فمن الصعب إرجاع ماقد يكون لها من تأثير علي الشعراء إليه وحده دون أولئك النقاد .

المراجع والإحالات :

(١) انظر حمزة الملك طمبل (مقال) بمجلة الخرطوم مارس ١٩٦٨ م : ص ٢١ ومابعدها ، للدكتور سعد الدين الجيزاوي الذي يمت إليه بقرابة وثيقة من جهة الأم ، ويؤخذ من المقال أن حمزة ظل يتنقل بين السودان ومصر ويمارس بعض الأعمال الحرة إلي أن وافاه الأجل بمدينة أسوان في يونيه ١٩٦٢م ، رحمه الله

(٢) الأدب السـودانى ومايجب أن يكون عليه لحمزة الملك طمبل ، ط ٢ ، ص ٧٠.

(٣) ديوان الطبيعة لحمزة الملك . ط ٢ . ص ١٦٠ - ١٦١

(٤) المصدر السابق : ص ١٨٧

(٥) انظر مقاله آنف الذكر بمجلة الخرطوم ، مارس ١٩٦٨ :
ص ٢٣ ، وقد علمت من الأديب عباس بدناب أن مخطوطات طمبل التي خلفها وراءه لم تجد من يرعاها فتمزقت وعبثت بها يد الضياع مع الأسف الشديد .

(٦) نشر طمبل مقالاته عن الأدب السوداني بجريدة حضارة السودان خلال شهري أغسطس ونوفمبر ١٩٢٧م بينما بدأ هيكل ينادي بالأدب القومي منذ أوائل عام ١٩٢٥م كما نستقريء من تاريخ مقالة واردة بكتابه في أوقات الفراغ (انظر ص ٣٤٤ و ٣٨٣ من طبعته الثانية) ثم اتصل جهده في هذا الجانب علي صفحات السياسة الأسبوعية في السنوات التالية وشاركه فيه آخرون تأييدا ومعارضة ، وتوجد حصيلة مقالاته التطبيقية مجتمعة بكتابه الآخر ثورة الأدب :" ص ١٠٥ ومابعدها من الطبعة .

(٧) انظر مقدمة كتابه (مقدمة لدراسة بلاغة العرب) الصادر عام ١٩٢١م : ص ٥ - ٦

(٨) الدكتور ابراهيم الحاردلو في كتابه الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، الطبعة الاولي ١٩٧٧م : ص ١٤٣.

(٩) صدر أول عدد من الحضارة في ١٢ فبراير ١٩١٩م ووالت الصدور لعشرة أشهر ثم توقفت عنه لسبعة أشهر وعاودته في ٢٠ يولية ١٩٢٠ ، وقد ظل حسين شريف يتولي رئاسة تحريرها طوال عهدها الأول ثم تولاها في عهدها الثاني إلي حين وفاته في يونية ١٩٢٨م رحمة الله.

(١٠) المنافع غير العواطف لحسين شريف (المقال الثالث من سلسلة المسألة السودانية) : حضارة السودان (٢١ أغسطس ١٩٢١).

(١١) (١٢) القومية السودانية - ٢ مقال لحسين شريف بحضارة السودان : ١٧

فبراير ١٩٢١م .

(١٣) الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه (مصدر سابق): ص ٣٠

(١٤) المصدر السابق : ص ٦٥

(١٥) نفس المصدر : ص ٦٧

(١٦) نفسه : ص ٦٦

(١٧) نفس المصدر : ص ١٠٧ ولعله يشير هنا من طرف خفي إلي مقالات حسين منصور في نقد الأدباء المصريين من قبيل طه حسين وزكي مبارك وكامل كيلاني التي كانت تنشر بحضارة السودان في تلك الآونة.

(١٨) المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلي العبثية للدكتور نبيل راغب ، القاهرة ١٩٧٧ : ص ٢٨١

(١٩) انظر مقدمة كتاب الديوان في الأدب والنقد للعقاد والمازني (ط ٣ ج ١ ، ص ٤) حيث يرد تعريف هذا المذهب بأنه إنساني مصري عربي .

(٢٠) الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه (مصدر سابق): ص ٥١ - ٥٢

(٢١) انظر أعراس ومآتم للأمين علي مدني (ط ٢) : ص ٢٦ و ٦٠

(٢٢) انظر ديوان الطبيعة لطمبل (مصدر سابق) : ص ١٨٣ و٢٠٦ و ١٧٢ و ١٩٤ و٢١٢ علي التوالي.

(٢٣) الشعر الحديث في السودان للدكتور محمد إبراهيم الشوش الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٦٢ : ص ١٧٨ ومابعدها مقدمة الطبعة الثانية المشتركة لكتاب الأدب السوداني مع ديوان الطبيعة : ص ١٨ ومابعدها.

(٢٤) ديوان الطبيعة لطمبل (مصدر سابق) : ص ١٢٧ (الي القاريء)

(٢٥) المصدر السابق : ص ١٢٨ (إلي القاريء)

(٢٦) انظر مقاله : الأدب القومي فكرة فنية يجب تصحيحها في الجزء الأول من مؤلفاته (دراسات في الأدب والنقد قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ١٩٧٠ م) : ص ٤٥ وكان قد نشر في السياسة الأسبوعية بتاريخ ١٩٣٠/٩/٣٠م ، وراجع أيضا فيما يتصل بالفهم المتقدم لفكرة قومية الأدب لدي هذا الجيل مقالتي محمد عشري الصديق عن الأدب القومي في كتابه : اراء وخواطر ، لجنة التأليف والنشر بالخرطوم ١٩٧٤ م : ص ٥٣ - ٥٦ و٢٠٩ - ٢١٦ وكانا قد نشرا بالعددين الأول والثاني من مجلة النهضة السودانية الصادرين في ٤ و١١ أكتوبر ١٩٣١م .

(٢٧) انظر بحث التجاني في نظر النقاد لفاروق الطيب في كتاب دراسات في

شعر التجاني ، الكتاب الاول من مطبوعات جماعة الادب السوداني ، الخرطوم ١٩٦٢ : ص ٢٥ ومابعدها ، ولعله نظر في هذا إلي ماذهب إليه محمد المهدي المجذوب في مقدمته لديوان محمد محمد علي (ألحان وأشجان) : ص ١٤ من أن التجاني تأثر شيئا ما بطمبل .

(٢٨) ديوان الطبيعة (مصدر سابق) : ص ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٤٤ علي التوالي .

(٢٩) راجع مقال (ذكرياتي مع التجاني يوسف بشير) ليحي محمد عبدالقادر بمجلة الدوحة ع ٤ سبتمبر ١٩٨٧م : ص ١٠٠ ومابعدها حيث يرد التأكيد علي نحو قاطع بأن التجاني هو كاتب هذه التراجم بل معظم كتاب النفثات برغم عدم إشارة مؤلفه (محمد عبدالرحيم) إلي ذلك .

(٣٠) انظر التجاني شاعر الجمال للدكتور عبدالمجيد عابدين ط ٥ : ص ٩٦.